المحاضرة الثالثة عشر

المطابقة والمقابلة

المطابقة في الاصطلاح هي «الجمع بين متضادّين أي معنييْن متقابلَيْن في الجملة، ويكون بلفظيْن»[1]، وهذان اللفظان إما أن يكونا اسميْن كالبياض والسواد، أو فعليْن مثل يظهر ويخفى، أو حرفيْن كحرفَي الجر "في" و"عن" المتعلّقين بفعل مثل: "رغب في" و"رغب عن"، وفي كلام العرب منظومها ومنثورها أمثلة عديدة تتجلى فيها المطابقة بوضوح، منها قول امرئ القيس (الطويل): مكر مفر مقبل مدبر معا / كجلمود صخر حطّه السيل من عل

وقول قيس بن الملوح (الطويل): على أنني راض بأن أحمل الهوى / وأخلص منه لا عليّ ولا ليا

فالمطابقة هنا بين "عَلَيّ" و "لي".

ومن المطابقة ما يكون بألفاظ الحقيقة، ومنها ما يكون بألفاظ المجاز، فمن الأول قول الحصين بن الحمام(الطويل): تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد/ لنفسي حياة مثل أن أتقدما

ومن الثاني الذي يكون بألفاظ المجاز ويُسمّى أيضا بالتكافؤ قولُ أبي الشغب العبسي(الكامل): حلو الشمائل وهو مر باسل/ يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

فالحلو والمرّ هنا خارجٌ مخرج الاستعارة، فلا الإنسان ولا شمائله مما يُذاق، فهذا تكافؤ[2].

وللمطابقة ثلاثة أنواع: مطابقة إيجاب، وهي ما يظهر فيها الضدان تصريحا، كاسمَيْ الدنيا والآخرة، ومطابقة سلب، وهي عكس ذلك، مثل "جزعت ولم أجزع" في قول امرئ القيس (الطويل): جزعت ولم أجزع من البين مجزعا / وعزّيت قلبي بالكواعب مولعا

والنوع الثالث هو ما يُعرَف بإيهام التضادّ، وهو ما يقع فيه إيهامُ ما ليس بضد أنه ضدّ، كقول الشاعر(الكامل): يبدي وشاحا أبيضا من سيبه / والجو قد لبس الوشاح الأغبرا

[1] الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1904م، ص348.
[2] يُنظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، (د ون ت)، ص111، 112.

فيقع الإيهام في لفظ "أغبر" أنه ضدّ "أبيض"، وإنما ضده الأسود[1].

المطابقة محسّن معنويّ كما هو ظاهر، ولكن يتجلى في وجود لفظين تتعدد أحوالهما، فتارة يكونان متضادّين صريحَيْ الضّدّيّة كخرج ودخل، وتارة يكون تضادّهما مختفيا باستعمال أداة نفي ظاهرة، كخرج ولم يخرج، وتارةً يكون أحد اللفظين قريبا في المعنى من ضدّ الآخر، فالمنشئ للكلام هو من يختار أحد هذه الأحوال بما يستدعيه المعنى ويُبتعَد به عن التكلّف، أي بما يحقّق التناسب في التأليف بين اللفظ وضده، فإن «من صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه وائتلاف ألفاظه حتى كأن الكلام بأسره من حسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد. وكما يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد، لأن المعاني يستدعي بعضها بعضا، فمنها ما يستدعي شبيهه، ومنها ما يستدعي مقابله» [2]، فمتى أراد المتكلم ائتلاف اللفظ مع اللفظ على وجه الموافقة أو التضادّ اختار اللفظ المناسب لما بعده، من ألفاظ كثيرة تصح تأدية المعنى بها.

وأما المقابلة فهي ــ كما يعرفها القزويني ــ :«أن يؤتى بمعنييْن متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل» [3]، على أن هناك من يشترط أن يكون ذلك التقابل تضادّا[4].

ومن شواهد المقابلة قول الله تعالى: (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)[التوبة 82]، فالتركيب: (فليضحكوا قليلا) يقابله التركيب (وليبكوا كثيرا)، لأن: ليضحكوا ≠ ليبكوا، قليلا ≠ كثيرا.

ومن حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم يخاطب الأنصار: (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع).

ومن الشعر قول النابغة الذبياني(الطويل): فتى تمّ فيه ما يسر صديقه / على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وتتعدّد صور المقابلة، فمنها مقابلة اثنين باثنين، كما ورد في الأمثلة السابقة، ومنها مقابلة ثلاثة بثلاثة، كقول أبي العتاهية (البسيط): ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا / وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وكقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن الحقّ ثقيل وبيّ، وإن الباطل خفيف مريّ)

---

[1] يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (دون ت)، ص80.
[2] المرجع نفسه، ص90، 91.
[3] الإيضاح في علوم البلاغة، ص259.
[4] يُنظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م، ص424.

ومنها مقابلة أربعة بأربعة، كقول جرير (الطويل): وباسط خير فيكم بيمينه/ وقابض شر عنكم بشماله

فقابل بين باسط وقابض، وبين خير وشر، وبين فيكم وعنكم، وبين يمينه وشماله.

ومنها مقابلة خمسة بخمسة، ومثالها قول المتنبي (البسيط): أزورهم وسواد الليل يشفع لي/ وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقابل بين أزور وأنثني، وبين سواد وبياض، وبين الليل والصبح على مذهب من يقول بجواز مقابلة الأضداد وغير الأضداد، وبين يشفع ويغري، وبين لي وبي.

ومنها مقابلة ستة بستة، مثل قول عنترة العبسي(الطويل): على رأس عبد تاج عز يزينه/ وفي رجل حر قيد ذل يشينه

وبما سبق من الأمثلة نكتشف ذلك الرونق الذي تحدثه المقابلة في اللفظ، والبهجة التي تبثّها في النفس؛ لما فيها من التناسب بين ألفاظها على وجه التضادّ، فالضّدّ يظهر حسنه الضد، وبالأضداد تتمايز الأشياء، وأما من حيث الدلالة فإن المعنى يتقوّى بالمقابلة، ويتّضح ويتجلى، بشرط أن تجري المقابلة أو المطابقة مجرى الطبع الذي لا تكلّف فيه.

تطبيق:

ـ عرّف المطابقة والمقابلة، واضرب أمثلة عن كل منهما.

ـ لماذا سُمّيت المطابقة بالمطابقة؟ (للبحث) وما أنواعها؟

ـ حدّد الأثر البلاغي لكل من المقابلة والمطابقة في الكلام.